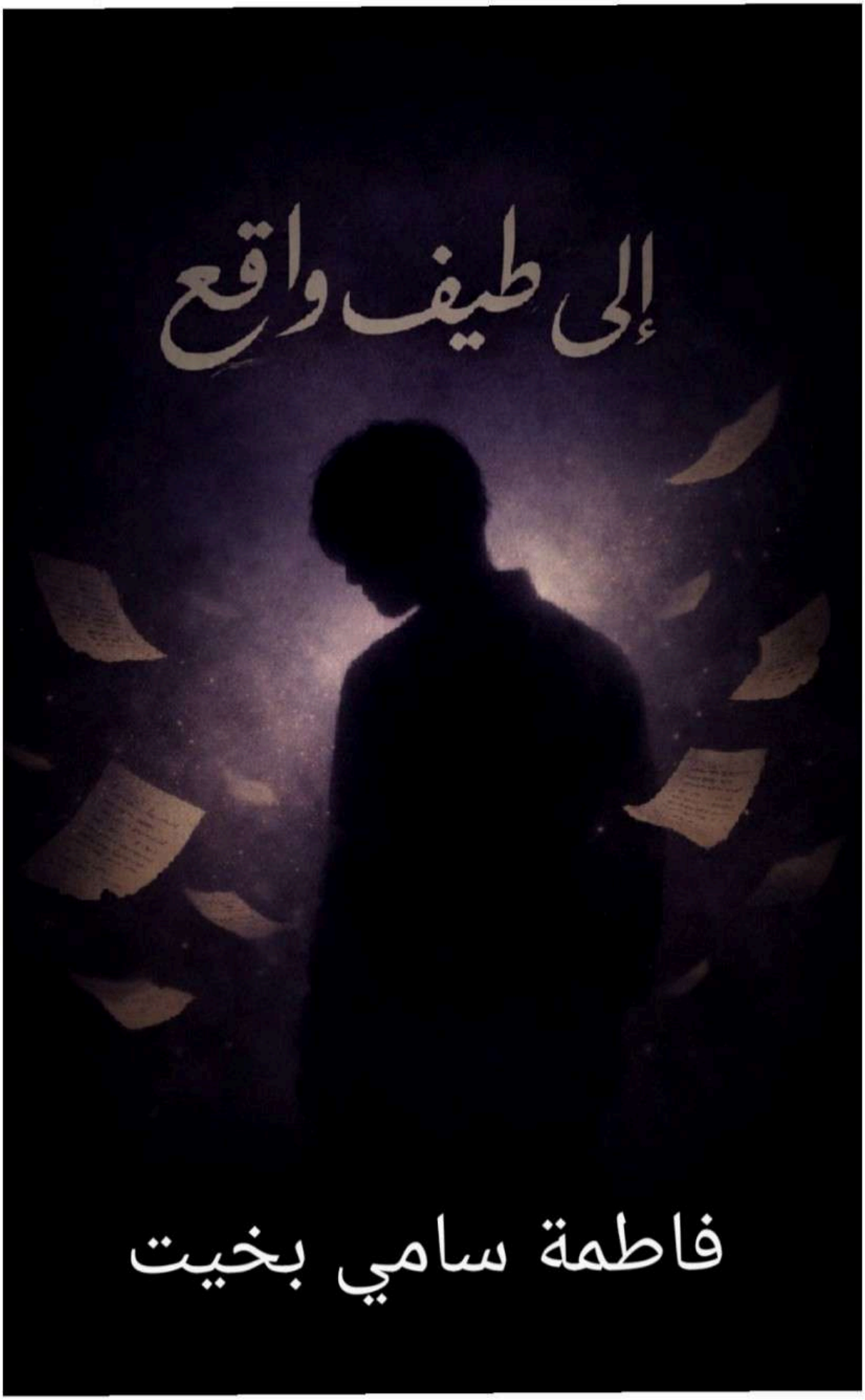
إلى طيف واقع
فاطمة سامي بخيت

إهداء:

إلى التي لبسـت ثوب النضج

المقدمة

كل حرف أكتبه يخرج مني مثقلاً بالمشاعر، كأنني أضع جزءًا من روحي في كل كلمة.
أكتب وكأنك ستقرأ يومًا ما، وكأن صدى هذه الأحرف سيصل إلى قلبك. كل سطر أحفره على الورق، نداء صامت لن تسمعه أبدًا أنا أكتب ليس لأن حياتي توقفت عندك، بل لأن قلبي ما زال يحتفظ بشيء لك، سيبقى حبيس الورق.

رسائل كُتبت إلى
من لا يقرأ

لقاء ليس بلقاء

لم يكن الأمر مخططًا له، ولم أكن أعلم أن مجرد فيديو عابر سيقلب عالمي رأسًا على عقب.

رأيت ظلًا جعل الزمن يتوقف للحظة. لا أعلم لماذا رأيتك من بين الجميع؟ كنت هناك، ولم أستطع منع نفسي من متابعتك بنظري. بصراحة، لم يكن بداخلي شيء مفهوم. حتى بعد انتهاء اللحظة، ظلت صورتك في ذهني، كأنني اكتشفت شيئًا ثمينًا. ولكن كما تفعل الأيام دائمًا، سرقتني مشاغل الحياة: الدراسة، الأصدقاء، المسؤوليات، كلها أخذتني بعيدًا عنك.

بدأ وجهك يتلاشى من ذاكرتي تدريجيًا، لكن القدر لم يكن ليسمح بذلك.

بعد حول كامل، ظهرت أمامي مجددًا. لم تكن في المشهد الأول واضحًا، كنت أرى فقط تفاصيلك من الخلف، لكنني عرفت أنك أنت. عرفت ذلك قبل أن تستدير، قبل أن أرى وجهك حتى. كان الأمر كأن عقلي لم ينسَ ملامحك، وكأن قلبي انتظر هذا اللقاء منذ البداية. وحين استدارت، رأيت وجهك من جديد. كان كما أتذكره تمامًا، شعرت بشعور لا يوصف، كأن قطعة من روحي عادت إلى مكانها الصحيح.

ومرت السنوات. أشعر بحرارة في قلبي،عندما يظلم المكان فأنت مصدر الضوء . أتأملك دون كلل أو ملل، أصبحت أشعر وكأنني أعرفك شخصيًا. شهدت كل تغيرات تفاصيلك كاملة أمامي. رياح باردة تضرب جسدي، ويصمت الكون في حضورك.

تفاصيلك تستطيع إسقاطي في هاوية لا

نهاية لها. كنت أتساءل دائمًا: إن كان تأثيرك علي هكذا من خلف الشاشة، فكيف سيكون لو رأيتك حاضرًا يومًا؟ وفي لحظة صدق مع نفسي، أدركت الحقيقة التي كنت أهرب منها طوال هذا الوقت، وعلمت أن هذه المشاعر سترافقني، سواء كنت قريبًا أو بعيدًا عني.

محطة إنتظار

يا من تجلس بعيدًا عني، لا تعلم أنني أقف خلف نافذة، أنظر إليك، أتأمل ملامحك، أسمع صوتك، أبتسم لك وأنت تنظر نحوي وتبتسم، لكنك لا تراني. أنا موجودة حقًا، لكنك تبدو لي كطيف؛ أراك وأشعر بوجودك دون أن ألمسك. أفكر بك كل يوم، ولا أستطيع تفسير هذا الحنين الذي يملأ قلبي.

أخبرني، لماذا لم نلتقِ بعد؟ بين جميع الأشخاص والأماكن، ما زلت أبحث عن تلك اللحظة التي ستجمعنا. قلبي بين يديك، يتساءل متى ستأتي، تلك اللحظة التي أتمناها منذ زمن. هل ستأتي اللحظة قريبًا؟ أم ستظل أماني معلقة في سماء الانتظار إلى الأبد؟

مجهول معروف

قد أكون بالنسبة لك مجرد مجهول، لكنك بالنسبة لي أعمق من أن تصفك الكلمات.
لا أستطيع أن أصف ما أشعر به نحوك بدقة، وما أحمله لك شيء أظن أنك تعرفه كما تعرف اسمك.
أمنيتي أن ألتقي بك يومًا، أن أقف أمامك، وأن أتأمل ملامحك، أن تسمح لعيني أن تنظر مباشرة في عينيك وأهمس لنفسي: "كل شيء بخير."
أتمنى أن ترسل عيني تلك المشاعر وأن تفهمها، فأنا لا أريد التحدث، فقط أريد التأمل. ربما لن تدرك أبدًا مدى تأثيرك علي، لكن بالنسبة لي ستبقى ذلك الشخص الذي يجعلني أبتسم في أكثر لحظاتي صعوبة، وفي أحلامي ينبض وجودك في روحي، يمنحها دفءً لا يزول.

مرسول المشاعر

أحيانًا أتمنى لو أن الرياح، برقتها وسرعتها، تحمل هذه الكلمات إليك. لتخبرك أن هناك شخصًا ما، في ركن بعيد من هذا العالم، يحتفظ لك بمشاعر لم يستطع أن يخفيها أو يتجاهلها. مشاعر جعلته يتطلع إلى أشياء يعرف جيدًا أنها بعيدة المنال، كأنها لعبة حظ لن يربحها يومًا.

ومع ذلك، لا يمكنني لوم نفسي؛ فالمشاعر دائمًا ما كانت لعبة القدر، وأنا أؤمن بالقدر وأؤمن بكل ما يأتي به.

منذ أن عرفت معنى المشاعر، كنت دائمًا أجد نفسي أمام صورتك. أراقبك من بعيد، كيف يمكنني ألا أقع لك؟ أعترف أنني لم أختبر هذا النوع من المشاعر من قبل. لم أكن أعلم أنني قد أقع بهذه الطريقة، حتى جاء الواقع وصفعني بحقيقته. حينها فقط أدركت شيئًا عميقًا: أنك استوطنت قلبي دون أن أُدرك. أعلم أن هذه

الكلمات لن تراها، بل ستخلد في صفحات تاريخي. أعلم أنها ستظل مجرد حروف مطوية في صفحة منسية. لكن بالنسبة لي، هذا يكفي.

يكفي أن أقولها، أن أخرج ما بداخلي في صدري، حتى لو كنت أنت في عالم مختلف عن عالمي.

متى؟

متى تموت المسافات؟ تموت حين تتلاشى الحواجز التي تفصل بيننا. تموت حين أجدك أمامي دون أن أبحث عنك في أحلامي.

تموت حين يصبح كل بعد بيننا ذكرى، وحين يتوقف قلبي عن مناداتك في صمت المساء.

ومتى ينتهي ألم الفراق؟ ينتهي حين أراك تملأ المكان الذي طالما انتظرتك فيه. حين تهدأ عواصف الشوق التي تعصف بروحي. حين تصبح اللحظات بيننا ممتدة بلا نهاية، بلا خوف، بلا وداع. ومتى سأفضح مشاعري؟ حين يوقف الزمن احترامًا لتلك اللحظة، حين ينطق قلبي بصوت أعلى من شفتي. حين لا أحتاج إلى التفكير أو الخوف أو الانتظار.

ستنطق لك عيناي، ويهتز جسدي معلنًا ما يستره صدري، لأنك الحقيقة الوحيدة التي تعيد لي الحياة.

أجل، سيزول كل ما يمنعنا من الاقتراب، وستصبح

الأحضان لغة صادقة تحكي كل ما عجزت عنه الكلمات. سأحتضنك يومًا ما كما أردت دومًا، حين يصبح المستحيل قصة قديمة، وتصبح أنت الحاضر الذي لن أغيب عنه أبدًا.

بلا وداع

اليوم مختلف تمامًا، لأنني سأقول شيئًا لم أتوقع أن تكتبه أناملي يومًا.

أريد أن أخبرك أنني أمر بمرحلة جديدة في مشاعري تجاهك. أعتقد أنها مرحلة النضج، وليست فقدان المشاعر كما كنت أظن. ما شعرت به نحوك سابقًا كان جميلاً جدًا، رغم الألم الذي كان يرافقه أحيانًا. لكن صدقني، حتى ذلك الألم كنت أراه شيئًا رائعًا، وكأنه جزء جميل من مشاعري تجاهك.

اليوم، لا أشعر بنفس ما كنت أشعر به في الماضي، وهذا يجعلني أشعر أحيانًا بأنني فقدت شيئًا كان يملأ أعماقي. أشعر بالفراغ أحيانًا، ولا أجد سوى النواح أو الكتابة للتعبير عنه. ورغم كل ما مررت به، ما زالت عيني تتجه نحوك دائمًا، كأنك الوحيد الذي يملك مفتاح قلبي، دون أن أجد ذلك الاهتمام أو الانجذاب لأي شخص آخر.

داخل هذا القلب دع المشاعر تمضي

هناك أجلس وحيدة على حافة قلبي،
أكتب عن شيء مستحيل، احتضن الأمل،
كأنني لا أعلم أن الأمل قد رحل منذ زمن.

صمت به ضجيج

أشعر بأنني تهت في متاهات قلبي، ضللت بين نبضاته المتعبة وأسئلتي التي لا إجابة لها.
الحيرة تثقل صدري. إذا كانت هذه هي النهاية، لدي كلمات مكبوتة حجبتها طويلاً داخلي، كأني كنت أخشى أن تخرج فتكتشف ضعفي. لكنها الآن تطالبني بأن أنطق بها، بأن أضعها أمامك. لم يعد لدي شيء آخر لأتمسك به، لا وعد أعلق عليه آمالي، ولا وجود يبرر بقاياي.
رسالتي هذه ليست الرحلة الأخيرة من قطار مشاعري. أدرك أنها قد لا تنتهي، تمامًا كما انتهى كل شيء بيننا على محطة الصمت.
كلماتي موجة عاتية من بحر مشاعري، مشاعري العالقة بين صحاري الحزن والألم. قلبي المعتصر يستلقي على سطح رمال اليأس، يصارع إعصار الوحدة، يتمسك بما تبقى، لكنه يدرك أن لا شيء يبقى.

لا أعلم ما الذي يمكنني قوله الآن، أشعر بصمت رهيب يملأ عقلي وقلبي، كأني فقدت القدرة على الحديث. الكلمات التي كانت بداخلي قد احترقت بالكامل، وها أنا أكتشف مرارة صمت العقل.

ادراج الفراغ

مشاعري نحوك تذهب دون أن أُدرك، لدرجة أنني لم أعد قادرة على استرجاعها.
لقد مررت بأيام عصيبة حاولت فيها إبقاء نفسي مشغولة، لكن لن أنسى أن جزءًا من ذكرياتي معك قد احترق.لم يعد بإمكاني العودة إلى تلك الأيام، كل ما أستطيعه الآن هو أن أنطق اسمك، هل حان الوقت لأقول وداعًا؟ نعم، لقد حان الوقت لإفلات كل شيء يخصك، لأنه يجب عليك أن ترحل عن مخيلتي. ومع ذلك، من الصعب عليّ أن أتركك تغادر.
الأمور متشابهة للغاية: الحب، الواقع، الذكريات. وأنا لست قادرة على التراجع عن الماضي في هذا المسار المختلف. هناك شيء بداخلي لا يريدك أن ترحل، شيء يطالب ببقائك في داخلي رغم رحيلك. ربما أستطيع أن أحتفظ بما تبقى من ذكرياتنا، كرماد دافئ يحترق بداخلي دون أن يؤلمني.

منبه

اللحظات التي كنت أظن أنني تجاوزتها لا تزال عالقة في مكان عميق بداخلي، مكان لا أستطيع الوصول إليه، ولا أستطيع الهرب منه.

لا يمكنني التظاهر بالنسيان، فكل شيء يعود فجأة، بكل تفاصيله، بمجرد أن أسمع اسمك، أو أرى ملامحك تتسلل إلي عبر شاشة، أو حتى عندما يذكرك أحدهم عابرًا وكأنك لا تعني لي شيئًا، بينما داخلي يضج بكل شيء. كنت أظن أنني تحررت منك، أنني أصبحت أكثر واقعية، وأنني تخطيتك، لكن الحقيقة أنني لم أفعل.

ربما لم أعد أعيش في وهم الوصول إليك كما كنت سابقًا، لكنني أيضًا لا أستطيع إخراجك من قلبي. أنت هناك، عالق بين أضلعي، تحتل زاوية من روحي لا يمكنني انتزاعها، حتى لو علمت أن لا شيء في هذا العالم سيجمعني بك يومًا.

أخبر نفسي أنني وجدت توازنًا بين الواقع والخيال، لكن في لحظات الصمت، في لحظات

الضعف، أدرك أنني ما زلت واقعة لك بطريقة لا أفهمها، تنبض في الخلفية مثل لحن قديم لا يمكنني إيقافه.

الذكريات معك تؤلمني، لكنها تمنحني دفءً خافتًا، وبعضها قد احترق، تاركًا رمادًا يذكرني بما كان جميلًا.

صراع

أعلم جيداً أن ما كان بداخلي تجاهك ليس سهلاً أن يُنسى في سنة أو ثلاث أو حتى أكثر.
حاولت أن أنسى، لقد اكتفيت منك.
لكني ما زلت أشعر بشعور طفيف نحوك،
مشاعري نحوك لم تجلب لي سوى الألم،
وجعلتني أرى أن القرب شيء جميل لكنه مستحيل بالنسبة لي.
كلما أقنعت نفسي أنك غريب، عاد شي في صدري يرفض التصديق.

جريمة

أنت الضجيج، وأنا الصمت،
أنت المسافة، وأنا القرب.
أنت العيون التي لا تتكلم، وأنا التي تقرأها بصمت.
أنت الشخص الذي لا يعرف، وأنا من أحفظه عن ظهر قلب.
أنت الهدوء وسط الزحام، وأنا الصمت خلال الضوضاء.
أنت البداية التي لم تحدث، وأنا من أكتبها.
أنت النبض الذي لا يُسمع، وأنا من يراقب من بُعد.
أنت الغائب دائمًا، وأنا الموجود الذي لا يُرى.
أنت الحلم الذي لا يُلمس، وأنا الخيال الذي يُعاش.
أنت الذي لا تدري، وأنا من أشعر بكل شيء.
أنت الأمل والخذلان
أنت السعادة والألم

أنت النور والظلام
أنت من يوقظ مشاعري،
وأنت من يجعلها تنام.
أما أنا:
أبكي وأبتسم عند رؤيتك.
أحبك، ولا أريدك.
أراقبك، ولا أقترب
أتعلم؟
أنا الجاني، والمجني عليه

أمحظوظ أنت، أم أناملي التي تكتب عنك؟

نعم، فكلانا محظوظ.
أنت البُعد، وأنا من تكتب صفحات المسافة لعلّها تنفذ.
أنت الشوق، وأنا من أعبّر عنه لعلّه يتحول إلى لقاء.
أنت الأمل، وأنا من يحتضنه لعلّه يكون هنا يومًا.
أنت أول الأشياء بُعدًا، وتضمّ تصنيف المستحيل، ويُطلق عليك اسمه فإن ما أشعر به يتكوّن بشكلٍ رئيسي من الفقد، ويشكّل الحنين أقلّ بقليل من ربع مشاعري، ومكوّني الأساسي يحتوي على نواة حب.
وأنت بقعة الضوء العظيمة التي عرفتها منذ زمن، حين رصدتك بعيني أول مرة. تحيط بك هالة من الجمال الخافت، وانجذاب كأنك مغناطيس. يدور حولك أعداد هائلة من الناس، وقد اكتشفت ذلك قبل سنين.
ليتني أُرسل بعثةً لاستكشافك.

بل في اللقاء

ماذا لو أخبرتك أنني أكتب نهاية قصة لم تبدأ بعد؟
أناملي المرتجفة تجر حبرها على صفحات الفراغ،
لعلها تصف البعد، الشوق، والحنين إليك
ايها الموجود في النصف الآخر من الكوكب.
لا تزال بعيدًا، بعيدًا جدًا. لذا سأخبر الرياح أن تحمل لك سلامي، سأهمس للطير أن تتغنى لك بحبي. وأرقص للشمس، أطلب من أن تمدك بالأمل، لأنني فقدت الأمل، ليس في حبك، بل في اللقاء.

القريب الغريب

إلى الذي يسكن قلبي: سلام عليك أيها القريب البعيد، أكتب إليك كلمات تجعل من شلالات عيناك تنهمر، وأنا أعلم أنك لن تقرأ، لذا سأكتب مطمئنة. عبثت السنين بقلبي، لكنه لم يتأثر، رغم برودة البعد، حرارة الشوق، ونسيم الحنين.
أصبحت عادية لدرجة لم يستوعبها عقلي. لِمَ؟ هل ماتت الدهشة؟ أم محى الزمان حبك من قلبي؟ يؤسفني أن أقول لك إنني ما زلت أشعر بحبك، لكن بشكل مختلف لا يوصف. هل تظن أن مشاعري نحوك تموت؟ لا يا عزيزي، وإن ماتت سأدفنها بداخلي.
صحيح أن الجميع يقول إن الأسماء تحمل حكايات، لكن عند سماع اسمك، لمعة عيني تحكي ألف حكاية. ألف حكاية عاشها قلبي بعيدًا عنك. أعلن استسلامي للواقع. أعلم أن البعد أكبر من أن تجمعنا المسافات، لكن قربك أكبر مما تصدقه العقول، أو تكتبه الكلمات. إن كان ما أشعر به

وهماً، فلا بأس؛ لأنك حقيقة تعيش بداخلي، وحكاية لن تكررها القرون. فكانت الأعوام تركض، ثم توقفت لتأخذ أنفاسها من التعب. هناك، التفت إلى نفسي، فوجدتني غارقة في شيء جميل، يجعلني أطفو رغم أنني في القاع.

هذه الرسائل كُتبت بحبر ممزوج بالدمع، لأنها لن تُرسل، ومن كُتبت إليه لن يقرأها أبدًا.

إلى الوقت

كنت كنبتة تجهل أن المطر يغسلها، وأن ضوء الصباح يبعث في داخلها الدفء: كل شيء كان كسـُطوع الشمس وغروبها، حتى جاءت غيمة جعلتني أدرك أن هناك شيئـًا مختلفـًا. شعرت أنك تجري كالسيل، جرفني تيارك حيث يريد، بينما كنت أجهل الأمر، جالسة على قارب مهمل لا أبالي بالمسار. أخذت قاربي إلى بحر الحب، يبحر بين أمواجه المتقلبة، تعبث به حتى أبتلعه، بينما كنت أحاول المقاومة. جرفني المد إلى جزيرة الأحلام، وظللت هناك طويلـًا، حتى مرت سفينة الخيال. ركبتها، أراقبها تشق محيطاتك، حتى رست على يابسة الواقع. وهناك، أدركت أنني كنت مجرد ورقة يكسوها الجفاف في مهب الريح.

حُلم به..و إليه:

في ليلةٍ هادئة، كنت أتجول في أرجاء المنزل بلا هدف. فجأة، وقعت عيناي عليك. كنت جالسـًا على كرسـي في زاوية الغرفة، ملامحك متجهمة، وعيناك مثبتتان على يديك، كأنهما تحملان شـيئـًا مهمـًا.

أمامك طاولة صغيرة، وبدت عليك حالة من التأمل الصامت. لم أتفاجأ بوجودك؛ ربما لأن عقلي الباطن ألف رؤيتك.

اقتربت منك بخطى ثابتة حتى وقفت أمامك.

رفعت رأسـك ببطء، عيناك الغامضتان التقت بعيني، وكأنهما تحملان حديثـًا طويلـًا لم يُـنطق بعد. بسـرعة، أخرجت هاتفي وقلت: "سـألتقط صورة لك." لم تبدي أي اعتراض، بل وجهت نظرك نحو الكاميرا، لكن ملامحك كما هي، جامدة، هادئة، بلا ابتسـامة. التقطت صورتين، ثم انشـغلت بتعديلهما. حينها، نهضت من كرسـيك بخطوات بطيئة، واقتربت مني بهدوء غريب.

مدت يدك وأعطيتني قنينة صغيرة تحتوي على سـائل أصفر شـفاف. اسـتلمتها دون تفكير. في تلك

اللحظة، أخذت هاتفي من يدي، وبدأت تتفحص الصور. لم أستطع أن أشيح بنظري عن وجهك؛ تفاصيل ملامحك كانت مشغولة بتعبير غامض، كأن هناك الكثير من الكلمات، لكنك اخترت أن تبتلعها.
بينما كنت منشغلة بالهاتف، شعرت بشيء غريب.
فجأة، أعدت لي الهاتف وقلت بصوت خافت:
"أعتذر إذا أزعجتك." ثم، بحركة سريعة، استعدت القنينة من بين يدي.
فتحتها ببطء، وشربت السائل الذي بداخلها.
حاولت أن أفهم ما يحدث، لكنني كنت صامتة، كأن لساني انعقد، وعيني تراقبان المشهد كأنني خلف الكواليس.
نَظرت إلى عيني بعمق، كأنك تريد من النظرات أن تخبرني بشيء لا تفسره الكلمات. لم تمض ثوانٍ حتى فقدت توازنك. هوى الهاتف من يدي، ركضت نحوك لعلي أستطيع إمساكك.
سقط جسدك على الأرض، وجلست بجانبك أحاول إيقاظك، أهز كتفيك بلا توقف. لكن ملامحك كانت هادئة، عيناك مغمضتان، كأنك تغط في نومٍ

عميق.
مع مرور اللحظات، أدركت الحقيقة المؤلمة. لقد مُت. كانت الأفكار تضج في رأسي. تذكرت اللحظة التي أعطيتني فيها القنينة، وتلك اللحظة التي شربتها فيها. كنت أعلم في أعماقي أنك كنت تحاول أن تخبرني بشيء، لكنني تجاهلت كل الإشارات. كان الحزن ينهشني من الداخل، لكنه لم يستطع أن يجد طريقه إلى عيني. شعرت وكأن دموعي تجمدت، وكأن جسدي كله رفض تصديق الواقع. كنت أردد لنفسي: "الشخص الذي أحببته مات أمامك، وأنتِ لم تفعلي شيئًا." لم أجرؤ على النظر إلى وجهك مرة أخرى، بل أهز جسدك على أمل أن تستيقظ، لكنني كنت أعلم أن اللبن المسكوب لن يتم استرجاعه. شريط ذكرياتي معك يمر أمامي، ثم توقف عند تلك النظرة التي وجدتُها نحوي قبل أن تغادر روحك. أغمضت عيناي لعل ما بداخلي من ألم وندم يخرج، لكن لم أستطع أن أخرج ما بداخلي.
فإذا بي أستيقظ من النوم، شعرت بثقل غريب في

صدري. كان كل شيء يبدو حقيقيًا بشكل مؤلم. الأحداث تتكرر في ذهني بلا توقف، كأن الحلم يرفض أن يغادرني. حاولت أن أبكي، أن أخرج هذا الشعور، لكنني لم أستطع، فأنا ما زلت عالقة هناك.

دائمًا في كل مرة انام فيها، فقط أتمنى أن أعيش الحلم مرة أخرى، وأصلح ما حدث.

مشاهد من الداخل:

مالك الجوهر

هناك الذي يتربع على عرش قلبي،وجهت له كلمات: لا أزال أراك هناك، تجلس مبتسمـًا، كأنك وجدت مكانـًا بعد بحث طويل.
أخبرني، كم استمر بحثك؟ سنة، عشر؟ أم قرن؟ تعلم أن العثور علي ليس أمرًا سهلاً."
يجلس بأريحيه ويجيب: "الطريق إلى هنا لم يكن سهلاً، صحيح؟" بتعجب قلت: "ماذا فعلت؟" مرر يديه بحنان على العرش وقال: " أنت من رحبت بي دون أن تدركي،أنت من سمحت لي أن أكون هنا. " انسابت كلماتي ببطء: "صحيح أنني لم أدرك، لكنك أنت السبب. جعلت عقلي يتوقف عند رؤيتك، أذعنت كل حواسي لتتبعك أينما تذهب."
ضحك بخفة وقال: "كنت مقدرًا أن أكون هنا. منذ أول مرة سحرت عيناك، أمتلكت عقلك، ثم أصبحت سيدًا على قلبك. صدقيني، لا أعلم كم استغرق الوقت لأصل إلى هنا." ابتسمت، وقلت: "أنا لست نادمة لأنك هنا، لأنني أعلم أنك مناسب لقلبي،

أنت الوحيد الذي يستحق أن يكون ما أنت عليه الآن. وكل ما في الأمر أنك ستكون هنا للأبد.
لذلك، دعنا لا نحسب الوقت، بل نعيش اللحظة."

عبر الأثير

بعيدًا عن الضوضاء،حيث لا نور،
يقف طيفان متقابلان،
تحمل ملامح كل منهما ما يمر به.
ابتسم أحدهما للآخر وقال:"
أنا في مزاجٍ جيد، أشعر كأنني بخير."
رد الآخر بسخرية هادئة:
"كأنك بخير؟
وأنا أشعر أنني أستطيع إنقاذ أحدٍ ما."
نظر الأول بعيدًا في الفراغ ثم قال:"
أجل، صحيح، فأنا أسمع صوتك وسط الضوضاء،
وسط الهدوء، والأحلام، كل شيءٍ متعلق بصوتك.
صمت قليلًا، ثم نبث بصوتٍ خافت:
عندما أغمض عيني في الظلمة، يشع نورك.
أنت تنير طريقًا بداخلي.
أنا وأنت يمكننا العبور إلى هناك دون خوف.
لا يهم كم المسافة بيننا، فأنت تسكنني."
لمعت عينا الآخر وقال:"

أنتِ نفسكِ، وأنا الطيف هنا،
وكل من أحب، يعرف كم أن العيش دون من يحب صعب."
أغمضتُ عيني وقلت:"
كلما فكرت في شأن الحب، لا أريد سماع شيءٍ حزين.
سأواجه وحدتي، وظلام حياتي.
أخسر أو أكسب، لكنني ما زلت أبحث عن شيءٍ ما."
ضحك الطيف وقال:"
نعم، أعلم أنني ذلك الشيء،
لكنني أؤمن أن الأمور ستتغير، فلا أحد مثالي."
ابتسمتُ:"
ولو تغير كل شيء،
فما شعرتُ به يومًا لن يتغير.سيظل كما هو.
حتى هذه اللحظة لها معنى خاص."
قال الطيف بسرعةٍ مترددة:
"أعلم، أعلم أنني دائم ألمع في قلبك،
فنحن متصلان بالنبض."

ضحكتُ:"
لم أتوقع يومًا أن تكون هناك مشاعر بلا لقاء.
اتضح أنها لم تكن أكاذيب،
بل حقيقة جعلتني أقوى."
قال الطيف بنبرةٍ متسائلة:
"إذن، ما الحب؟
إن كانت هناك إجابة، أريدها الآن."
أخذتُ شهيقًا عميقًا ثم قلت:"
الحب عندي مختلف.
في ظلام الليالي أستطيع الشعور بالدفء،
ورؤية نورٍ يجتاح أفقًا داخلي،
وكما تعلم، الفجر يأتي لأكثر الليالي ظلمة."
أشار إلى نفسه وقال:
أتظنين أنني نورك؟"
انكمشتُ قليلًا، ممسكةً بيدي بخجلٍ واضح،
وقلت بنبرةٍ مرتجفة:"
أجل، فأنت..."
قاطعني بسرعة:"
ستتجاوزين هذا في المستقبل.

كل ليلةٍ تأتي ستدركين النضج.
ولا بأس أن تُظهري ضعفك،
ولا بأس أن تكوني ذاتك.
لا تكذبي على نفسك،
فكل شيء متصل عبر النبض."
امتلأت عيناي بالدموع وقلت:"
ليس من السهل توديع مصدر الدفء.
ليس من السهل إيجاد سببٍ مقنع للنسيان.
ليس من السهل كتم كل شيء،
وترك الأحداث تمر كأنك غير مشاركة فيها.
أنا ما زلت أقف هنا،
متمسكةً بك،
وبنورك،
وبدفئك.
وكما قلت،
نحن متصلان بالنبض."

إلى ذاتي صاحبة النضج:

أتمنى أن تقرئي كلماتي هذه دون أن تشعري أنكِ كنتِ متهورة تركض خلف مشاعرها، أو ساذجة لأنها كتبت كل ذلك.
أنتِ تعلمين أن الواقع دفعني إلى المضي قدمًا، وقد فعلتُ كل ما بوسعي لأحاول نسيانه، لكنني للأسف لم أنجح. كنت أظن أن الوقت سيكون كفيلًا بمداواة الجرح، لكن كل يوم يمضي يثبت لي العكس. أشعر بألم شديد في قلبي وأنا أكتب هذه الكلمات، لأن الحقيقة القاسية هي أن مشاعري نحوه لم تكن شيئًا عابرًا، بل كانت متجذرة في أعماقي. حاولت بكل الطرق أن أدفن هذه المشاعر تحت ركام النسيان، لكنه يعود دائمًا؛ في الذكريات، في الأماكن، وحتى في اللحظات التي أعتقد فيها أنني تجاوزته. لا أعلم إن كان هذا عذاب المشاعر أم مجرد وهم صنعته في عقلي، لكن ما أعلمه جيدًا هو أنني لم أنجح في نسيانه.

كلانا يعلم أن الحياة مستمرة، وما زلت أتعلم كيف أعيش رغم كل شيء. لم أكن أعلم أن ذلك سيحدث يومًا، أن تنقلب الحياة دون إنذار، وأن تفقد الأيام ألوانها فجأة، فتتحول إلى صمت طويل. كنت أظن أن أيامي ستبقى ربيعًا دائمًا، مفعمة بالدفء والوعود، لكنني أدركت أن حتى الربيع يرحل أحيانًا.

سأبقى هنا، لا لأجل أحد، بل لأجلي. لأجل تلك الفتاة التي تعثرت ولم تسقط، التي بكت ولم تنكسر. واقعي يهمس: لا مزيد من الأحلام، لكن قلبي يرفض التصديق. وإن انتهت مرحلة الشباب يومًا، فلن تنتهي قدرتي على الحلم. سأبقى مليئة بالمشاعر، حتى لو أرهقني الشعور. ما بداخلي سيضيء طريقي.

أنا هنا الآن، أراك أكثر نضجًا مما كنت عليه. هل اختبرتِ أشياء جديدة؟ ربما مشاعر جديدة، وربما عرفتِ الحب مرة أخرى. هل ما زال قلبك يذكره؟ أم أن الأيام سرقته؟ هل مكانه محفوظًا؟ أم احتله شخص آخر؟

آسفة، قد أكون ذكرتكِ بشيء ظننتِ أنه أصبح خلف جدار الماضي، لكن اعلمي أن هناك صوتًا خافتًا يأتي مع نسيم يقول: مكانه بداخلك يظل يشع نورًا.
انطفأت المشاعر، لكن جمر الامتنان لم يخمد.

من ذاتكِ المدفونة، إلى التي أطمح لها.

الخاتمة:

الحروف التي نقشها ليتها تصف الأيام، تجعلني أعيشها. لكن لكل زمان لحظاته. لذا ستخلد الكلمات على أرض الصفحات، لعلها تعيد الذكريات والمشاعر.